



السجين للمرة الأولى:

في دمشق عام 693 هـ، كانت مدتها قليلة، وفائدتها كبيرة، وثمرتها جليلة؛ سببها واقعة عساف النصراني، الذي شهد عليه جماعة أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم، فعندما بلغ الخبرُ شيخُ الإسلام التقى بالشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث في وقته، فرفعا أمره إلى نائب السلطان بدمشق، عز الدين أبيك الحموي، فأحضر عساف ومعه مجيره أمير آل علي، فضربهما الناس بالحجارة، فضربهما السلطان أمام عساف، ثم دعاهم وأرضاهما. وادعى النصراني الإسلام، فقتل في طريقه إلى الحجاز، قتله ابن أخيه، ولعل ما أصابه كان انتقاماً من الله للشيفين الكريمين.

وكان من نتيجة هذه الحادثة أن ألف شيخ الإسلام سفره العظيم: "الصارم المسلول على شاتم الرسول"، الذي أصبح مرجعاً يرجع إليه الناس كلما نيل أحد من أنبياء الله ورسله.

المرة الثانية:

كانت في القاهرة، وكانت مدتها سنة ونصف من يوم الجمعة 23/3/705هـ إلى يوم الجمعة 26/9/707هـ؛ كانت بدايتها في سجن "برج"، ثم نقل إلى الجب بقلعة الجبل.

وكان معه في هذه المرة أخوه عبد الله وعبد الرحمن، وتلميذه إبراهيم الغياني، حيث كانوا ملazمين له في سفره إلى القاهرة. وسببها كما ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه "البداية والنهاية" في حوارث 705هـ، كان مسألة العرش، ومسألة الكلام، ومسألة النزول.

وفيها من المواقف البطولية، والصدق في ذات الله ما يملأ النفس بالإيمان والجد في العمل.

عندما أخرجوا من السجن دعا أخوه عبد الله الملقب بالشرف على من تسبب في حبسه ظلماً وعدواناً، فمنعه شيخ الإسلام، وقال له: بِلْ قُلْ: اللَّهُمَّ هَبْ لَهُمْ نُوراً يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى الْحَقِّ.

المرة الثالثة:

كانت بمصر أيضاً، ولمدة قليلة، أسبوعين من 707/10/3هـ إلى 707/10/18هـ. وبسببها أنه ألف كتاباً في الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، لهذا استعدى عليه الصوفية السلطة بالقاهرة، فكون له مجلس، فمنهم من برأه ومنهم من أدانه.

المرة الرابعة:

بمصر كذلك، في قاعة "الترسيم"، لمدة شهرين أو تزيد، من آخر شهر شوال 707هـ، إلى أول سنة 708هـ. وكانت تلك السجنة بسبب مؤامرة تولاها الصوفي الباطني الحلولي نصر المنجبي، مستغلًا صلته بالحاكم الجاشنكير.

المرة الخامسة:

كانت بالإسكندرية من يوم 709/3/1هـ إلى 709/8/1هـ، لمدة سبعة شهور، وهي بمكيدة من نصر المنجبي والجاشنكير، عليهما من الله ما يستحقانه.

لقد عزموا أن ينفوه إلى قبرص، وهدد بالقتل، فقيل له في ذلك، فقال مقالته المشهورة، وكلمته المشكورة: "إِنْ قُتِلَتْ كَانَ لِي شَهَادَة، وَإِنْ نُفُونِي كَانَتْ لِي هَجْرَة، وَلَوْ نُفُونِي إِلَى قَبْرَصِ دَعَوْتُ أَهْلَهَا إِلَى اللَّهِ فَأُجَابُونِي، وَإِنْ حُبْسُونِي كَانَ لِي مَعْدَأً، وَأَنَا مِثْلُ الْفَنْمَةِ كَيْفَمَا تَقْلِبْتَ عَلَى صَوْفٍ"، فيئسوا منه وانصرفوا.

ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا، فما هي إلا شهور حتى رجع الملك الناصر محمد بن قلاوون 709هـ، خالفاً الخائن الجاشنكير، فأخرج عن الشيخ، واستدعاه من الإسكندرية إلى القاهرة، وأكرمه، وأجله، واستفتى الشيخ في قتل المشايخ الذين كانوا سعوا به إلى الجاشنكير وأرادوا قتله بعد سجنه، ولكن الشيخ رحمة الله علم مراد السلطان وأنه يريد أن يتخلص منهم انتقاماً لنفسه، فشرع الشيخ في مدحهم والثناء عليهم، وقال: إن هؤلاء أفضل ما في مملكتك، فإن قتلتهم فلا تجد بديلاً عنهم؛ وقال له: أما أنا فهم في حل من جهتي.

ولهذا قال ابن مخلوف قاضي المالكية في زمانه، وكان من المحرضين عليه، بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نبق ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا.

وبعدها نزل الشيخ القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وتردد عليه الخلق على اختلاف طبقاتهم يسألونه، ويستفتوه، ويحرضونه على خصومه، وما فتئ يقول: أنا أحللت كل من آذاني، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه. ثم عاد إلى دمشق بصحبة السلطان لمقابلة التتار في 719/10/8هـ بعد غيبة منها دامت سبع سنين، سجن فيها أربع مرات ولمدة سنتين ونصف.

المرة السادسة:

كانت بدمشق لمدة ستة أشهر تقرباً من يوم الخميس 720/7/12هـ إلى يوم الإثنين 721/10/12هـ، بسبب الحلف بالطلاق. لقد أثمرت هذه السجنة عن العديد من الكتب والرسائل المفيدة، والردود الحافلة على الخصوم والمعاندين، منها "الرد الكبير على من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق".

المرة السابعة:

بدمشق لمدة عامين وثلاثة أشهر ونصف تقرباً، من يوم الإثنين 726/8/6هـ إلى ليلة الإثنين 728/11/20هـ، حيث أخرجت

جنائزه من سجن القلعة إلى مثواه الأخير؛ وكانت بسبب مسألة الزيارة، وأنجت "الرد على الإخنائي".

وقد فتح عليه في هذه المرة من الفتوح الربانية، والعلوم النافعة، والعبادة الخالصة، هذا بجانب العديد من الرسائل والفتاوی، على الرغم من حرماته من كتبه وأدوات الكتابة، فكان يكتب من حفظه.

لم يزد شيخ الإسلام في مسألة الزيارة هذه إلا أن أورد قوله للعلماء، قول مالك الذي ينهى أن تشد الرحال إلا للمساجد الثلاثة، للحديث الصحيح: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.."، وهو الراجح، والقول الثاني لبعض الشافعية والحنابلة بجواز ذلك، مما يدرى للإنسان لم قامت الدنيا على ابن تيمية ولم تقم على مالك؟ ليس هناك من سبب سوى الهوى، والتعصب، والتقليد الأعمى.

اللهم اغفر لشيخ الإسلام في الأولين والآخرين، وأكرم نزله، وأعلى شأنه، وأكرم مكانه، وانفع بكتبه ومؤلفاته وآثاره وتلاميذه، للأحياء منهم والميتيين، واجزه عن الإسلام وأهله، بل واجز الإسلام عنه خير الجزاء، يا واسع المغفرة يا مجيب الدعاء. وصلى الله وسلم على محمد وآلـه، وصـحبـهـ، وـالـتـابـعـيـنـ لـهـمـ بـإـحـسـانـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ.

حساب الكاتب على تويتر

المصادر: